أخبار الخليج
العدد (١٧٠٨٩) - السنة التاسعة والأربعون - الأحد ٥ رجب ١٤٤٦هـ - ٥ يناير ٢٠٢٥م

سورة الإنسان.. وملامح الإنسان القرآني!

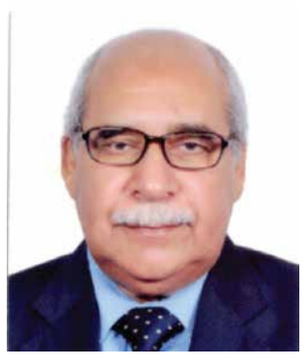

بقلم:
عبدالرحمن علي البنفلاح

في سورة الإنسان يطرح القرآن الكريم تساؤلًا عجيبًا يدهش له الإنسان، ومن خلال البحث عن إجابات شافية لهذا التساؤل يجد الإنسان نفسه مبهورًا لشدة إعجابه للأجوبة التي يطرحها القرآن في هذه السورة العظيمة، وما تضمنته من قيم ومبادئ حري بالإنسان أن يتأملها، وأن يعمل عقله فيها، ويبحث في بداياتها ونهاياتها، وسوف يجد الأجوبة الشافية من خلال ما تطرحه السورة من قيم عملية، ومواقف يعجز الإنسان عن سبر أغوارها، وإدراك مقاصدها التي أنارت الطريق، وأضاءت السبل في محاولة بلوغ الغاية التي تحدثت عنها السورة، يقول تعالى: (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورا)الإنسان / ١.

الآية الجليلة تتحدث عن الإنسان، عن بداياته ويجعل القرآن للإجابة عن هذا التساؤل العجيب ما تطرحه السورة من إجابات عملية يحاول الإنسان من خلالها أن يجسد معالم الطريق إلى هذا الإنسان، ومعرفته حق المعرفة ليس عن طريق الكلام المرسل، بل عن طريق ما يقوم به الإنسان من أعمال خيرة يجيب عن طريقها على هذا التساؤل، يقول تعالى: (إنّا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعًا بصيرًا) الإنسان / ٢.

وها هي تطرح البدايات الحقيقية لوجود هذا الإنسان، فيقول جل جلاله: (إنّا هديناه السبيل إما شاكرًا وإما كفورا) الإنسان / ٣.

البداية الحقيقية لهذا المخلوق الذي سمَّاه الله تعالى «الإنسان» وجعل اسمه عنوانًا للسورة، فخلد بذلك السورة، وما فيها من فضائل عملية ما أحوج البشرية إليها، وهناك خياران لا ثالث لهما: أن يكون الإنسان شاكرًا لنعم الله تعالى التي لا تعد ولا تحصى وإما أن يكون كافرًا به، يقول تعالى: (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم) النحل / ١٨. والإنسان إما شاكرًا، ومقرًا بفضله تعالى، وساعيًا إلى مرضاته، شاكرًا له سبحانه أن يسر له السبيل للتعرف عليه سبحانه إلهًا واحدًا لا شريك له تعالى، ووفق اختياره سوف يتحدد مصيره في الدنيا والآخرة، وهو مصير تحدده السورة تكشف سمات هذا الإنسان في كتاب حفظه الله تعالى: (إنّا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) الحجر / ٩. وأحاطه بحصن منيع، قال جل جلاله: (.. وإنه لكتاب عزيز (٤١) لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (٤٢)) سورة فصلت.

لقد حكم الحق سبحانه وتعالى على استحالة مس هذا الكتاب العزيز بسوء، حتى لو تظاهر الإنس والجن على ذلك، قال تعالى: (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) الإسراء / ٨٨.

وتحداهم بأن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات، ثم بالغ في التحدي، فتحداهم بسورة واحدة من مثله، فعجزوا عن ذلك كله وسلمت له القضية، وظل القرآن الكريم نصا مقدسا عجز البشر أن يأتوا بمثله أبدًا.

وتواصل سورة الإنسان تأطيرها لملامح الإنسان القرآني، يقول تعالى: (عينًا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا (٦) يوفون بالنذر ويخافون يومًا كان شره مستطيرا (٧)) سورة الإنسان.

من صفات هذا الإنسان القرآني أنه إنسان يوفي بالنذر، ويلتزم بعهوده ومواثيقه، وخاصة أنها عهود ومواثيق مع الله تعالى، ويستحيل عليه أن يخلفها أو يفرط فيها، ولأن هذا الإنسان وفيًا لما عاهد الله تعالى عليه، فإنه يلزم نفسه بما لم يلزمه الله تعالى بها، يقول تعالى: (ويطعمون الطعام على حبه مسكينًا ويتيمًا وأسيرا (٨) إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكورا (٩) إنّا نخاف من ربنا يومًا عبوسًا قمطريرا (١٠) فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقّاهم نضرة وسرورا (١١) وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا (١٢)) سورة الإنسان.

إن هذا الإنسان لا يكتفي بإطعام من هو في حاجة إلى الطعام، والقليل الزهيد يكفيه، بل هو يتخير من الطعام أفضله، ومن العطاء أجزله، وهو مثال على إنكار الذات، وهو يفعل ذلك لأنه يقدم الطعام والبذل والعطاء إلى إله كريم جواد سوف يختار في مكافأته له يوم القيامة أحسن الذي عمل، كما يتخير في العفو عن الذنوب أسوأ الذي عمل، وبالتالي فإنه غفار للذنوب التي أقل سوءًا، يقول سبحانه وتعالى: (ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون) الزمر / ٣.

وإذا كان هذا صنيع الله تعالى معهم، فأحرى بالمؤمن الصادق في إيمانه أن يتصدق بأحسن الذي يملك لأنه يتقرب بالبذل والعطاء إلى الله تعالى.

ثم تواصل السورة الكريمة وصف هذا الإنسان، ووصف القيم التي يتمثلها الإنسان في سورة الإنسان في حياته، هكذا لما علم الله تعالى صدق نيتهم، واطلع على خفايا أنفسهم، فأعطاهم من الجزاء ما يتخيرون ويرجون، وغايتهم في ذلك ليس حب الظهور والمباهاة بما يقدمون من خير.

هذه لمحات مباركة تقدمها سورة الإنسان في وقار وإخبات لتُبَيِّنْ من خلالها معالم الإنسان القرآني.

ما أحلى العودة إلى بيتي في دمشق.. «درة الشام»!

بقلم:
تمارا الرفاعي ○

قد يكون هذا آخر مقال أكتبه عن سوريا وأنا بعيدة وشاعرة بالفقدان. كنت قد توقفت عن الكتابة منذ قرابة السنة لعدم قدرتي على التكرار، وعلى جر القراء معي إلى منابع الحزن الذي حملته في قلبي بينما اشتدت الحرب وسفكت الدماء في بلدي. توقفت عن الكتابة حين شعرت بأنه لم يعد لدي ما أقوله في وصف بعدي، ولم أعد أستطيع أن أحكي عن كل ما كان.

ها نحن السوريين في يومنا الجديد نفتح شبابيك بيوتنا وقلوبنا لتدخلها الشمس. ننفض الغبار عن أرواحنا ونلملم ما تبعثر من أحاسيسنا خلال الأسبوع الأخير استعدادًا للملمة بلدنا وطمأنة سوريا أنها لجميع السوريين. نطوي صفحات دامية ونقرر معًا أننا لن نسمح بتكرارها قط.

سعادتنا جماعية وكذلك قلقنا. فرحنا صادق كما هو ترقبنا حقيقي. الخوف من هول ما نكتشفه يوازي فرحنا بما أنجزناه. وقد علمتنا سنوات الثورة والحرب أن كل شيء ممكن، الصداقات الجديدة العابرة للمناطق والأجيال والخلفيات، العداوات التي خسفت بعلاقات ظننا يوما أنها متينة.

تعلمنا خلال حربنا أيضًا أن الكرم قد يظهر من داخل خيمة اللجوء رغم الفقر، إذ قد تعطيك ست البيت، أو ست الخيمة، آخر ما تملكه من القهوة، وهي ترحب بك وتعتذر أن المكان ليس من مقامك. كما رأينا أن دناءة النفس قد تصدر من أكثر من ظننتاهم يوما أكارم، فالبخل ليس بالمال إنما بالنفس.

أصدقائي ممن تحملتموني، اليوم، أريد أن أرد الجميل، فقد اتكأت عليكم سواء في الحياة الحقيقية أو من خلال وسائل التواصل الاجتماعي، وقد وجدت كمًا هائلًا من الدعم والدفء.

أظن أن دفء أصدقائي كان لحاف قلبي حين شعر بالبرد، وكتاباتي كانت ملاذي حين كنت أحتاج إلى البوح، كما تحول الفضاء الافتراضي إلى زيارات أخذت فيها الأصدقاء إلى سوريا دون أن أذهب إليها بنفسي.

ممنونة أنا لكل من قرأ واستمع بصبر إلى قصصي وابتسم دون تعليق على تعصبي تجاه المطبخ السوري وإصراري على الاحتفاظ بعادات اجتماعية ربما لم تكن تتماشى مع البلاد التي عشت فيها منذ بدأت الحرب في سوريا، إذ أصبحت أكثر تعنتًا ومحافظة على ما قررت أنه ثوابت رغم قدمها بسبب البعد.

اليوم أريد أن أفتح باب بيتي في دمشق لمن فتحوا لي قلوبهم وبيوتهم وسألوني بصدق عن بلدي.

اليوم أريد أن أعود وأصدقائي ممن لم يزوروا سوريا من قبل أو زاروها قبل أن أعرفهم. أريدكم جميعًا في بيت عائلتي الكبير نعيد إليه الحياة، فتتحرك أمي بين المطبخ وصالة الاستقبال وتنهرنا، أبي وأنا، لأننا منشغلون بغير التحضير لقدوم الضيوف.

أريد أن أضع الكراسي قرب شجرة النارنج في الحديقة، أظن لا داعي للخوض في موضوع هوسي بمربى النارنج.. أليس كذلك؟

بيتي اليوم هو بيت كل صديق وصديقة ربت على روحي في السنوات الماضية، هو بيت يريد أن يرد بعض ما حصلت عليه من حب في بيوت أخرى حين كان قلبي يتفتت من شوقي لسوريا.

هذه رسالة لكل من نسجت معه صداقة في السنوات الأخيرة دامت حتى اليوم: امتناني عميق إذ اكتشفت أن الدفء الإنساني دواء لأكثر من داء، واليد التي كانت تمسك بيدي لطالما سحبتني من عمق السواد.

اليوم سوريا تفتح أبوابها ولن تنظر إلى الوراء، سوى لنحلف معا أننا لن نكرر ما حدث.

لن نسمح بما يتوقعه البعض، لن نرد على من يبتسم ابتسامة صفراء محذرًا أننا لن ننجح.

الطريق أمامنا طويل وخطر، ونحن لسنا من السذاجة أن نقتنع بأننا سننتقل بسلاسة كاملة تناسب الجميع. السياسة حلبة صراع دوما، نريدها ألا تكون دموية.

سنتعلم معنى التعايش دون رعب، سننبذ خطاب الكراهية والتمييز، سنلفظ عادات فاسدة نخرت جوهر صناعة الدولة والعلاقات الاجتماعية.

الطريق هش وصعب، لكن أظننا نحن السوريين متفقون على أننا دفعنا سلفًا بدمائنا، ربما كقربان لعهد جديد نجتمع فيه على مسلمات لن نتنازل عنها. بلد يضمنا ضمن الحد الأدنى من الاتفاق، هكذا بواقعية، إذ قد يكون أكبر درس نتعلمه هو أننا مختلفون ومتعددون ولا يجب حشرنا جميعًا في الزي الموحد والفكر الموحد.

اليوم أريد أن أرد الدَّين لكل من فتح لي قلبه وبيته وعقله، وأرحب بأصدقائي في بيتي في الشام، اليوم بيتي هو بيتكم، كما جعلتم من بيوتكم بيتي.

هلا تجو معي عالشام؟

○ كاتبة سورية.

الطرق العشرة لزيادة فعالية مخططك لعامك الجديد

بقلم:
د. زكريا الخنجي

يحلو للجميع مع بداية كل عام أن يكتب ويصمم برامج وأفكارا حول التخطيط الشخصي للعام الجديد، ويضع الأهداف والعديد من الأفكار بهدف واحد هو أن يستغل أيامه في السنة المقبلة بأفضل ما يمكن من أجل تحقيق تلك الأهداف وتطوير الذات، وينتهي العام، وتتكشف الأوراق فيجد المرء أنه لم يحقق إلا جزءا يسيرا من تلك الأهداف، فإن كان هذا الإنسان متفائلاً فإنه سيعاود في وضع خطة وأهداف للسنة التالية، وإن لم يكن كذلك فإنه سيرمي كل تلك الأوراق والأقلام بعيدًا فلا يضع خطة ولا يحاول أن يرسم أهدافا.

وجدنا خلال رحلتنا في السنوات الخمس الماضية،أن من يضع الخطط والأهداف، وحتى الذي يقدمون دورات تدريبية سنوية بعنوان (خطط لحياة أفضل في السنة القادمة)، أو ما شابه ذلك من عناوين براقة تنقصهم فكرة واحدة ربما يتجاهلونها أو ينسونها، وهي أنهم يحسبون أن من يضع الخطط الشخصية لا تنقصه العزيمة والإصرار للمضي قدمًا في تحقيق أهدافه وتنفيذ خططه، لذلك فإنهم يتحدثون من منطلق مثالي بعيدًا عن الضعف الإنساني الذي يضغط على الإنسان بين الفينة والأخرى. لذلك ومن خلال السنوات الخمس الماضية وعبر العديد من الاستشارات التي قدمناها للأفراد والمؤسسات وجدنا أنه يمكن إحراز الكثير من التقدم في تحقيق الخطط سواء الشخصية أو المؤسسية، وذلك من خلال الالتزام ببعض التوصيات الصغيرة في الكلمات الكبيرة في المضمون، وما سنحاول أن نقدمه في هذا المقال ما هو إلا جزء من تلك التوصيات، وهي كالتالي:

١. التقليل من النوم؛ نعرف جميعًا أن النوم ضرورة حياتية لا بد منها، وذلك من أجل استعادة الصحة الجسمية والعقلية، فالنوم له دور كبير في تعزيز الأداء اليومي وتحسين جودة الحياة. ولقد نشرت دراسات كثيرة وكتب عديدة توضح أهمية النوم للإنسان، ووجدت تلك الدراسات أنه لا ينبغي أن تزيد فترة النوم عن ٨ ساعات في اليوم، وخاصة للبالغين، ولكن وجدنا أن جزءًا كبيرًا من ساعات عديد من البشر تضيع في النوم، فهو ينام ساعات طويلة سواء في الليل أو في النهار، غير مهتم بالوقت أو قيمته. فبالإضافة إلى الآثار الصحية السلبية للنوم الكثير والطويل فإنه يسبب الخمول والكسل وضعف التركيز والإنتاجية، والانتباه واتخاذ القرارات، فهل مثل هذا الإنسان يمكنه تحقيق وتنفيذ خطته السنوية؟

٢. القراءة السريعة؛ دائمًا ننصح بالقراءة، فللقراءة كما نعلم فوائد كثيرة جدًا، وهذا أمر مفروغ منه، وإن كنا لا نرغب أبدًا من التقليل من شأن القراءة والوقت الذي يقضيه الإنسان في القراءة وكمية المادة المقروءة، إلا إنه في هذا العصر السريع يمكننا أن نتعلم القراءة السريعة من أجل تقليل الوقت في قراءة كثير من المواد غير المهمة والتي يمكن الاستغناء عنها وعدم قراءتها. فبرامج التواصل الاجتماعي يمكن أن يخضع للقراءة السريعة، وبعض الكتب والصحف كذلك، ولكن هناك الكثير من الكتب التي تستحق قراءتها بتأمل، لذلك فإنه ينبغي على المرء أن يخصص في خطته السنوية ساعة واحدة من يوم –على الأقل– لقراءة مثل تلك الكتب والمصادر التي تفتح العقول والفكر، وتحلق بنا إلى آفاق من الحياة الواسعة.

٣. الأوقات الضائعة؛ في حياتنا، وفي أيامنا الكثير من الأوقات الضائعة، مثل: بعد صلاة الفجر، وأوقات الانتظار في المراكز الصحية أو الحلاق، أو في رحلات القطارات، أو أثناء السفر بالطائرة، وربما الكثير، وكل شخص يعرف أوقاته، فيصبح الوقت مثل قطرات الزئبق التي تنسل من بين الأصابع فلا يمكن مسكها وبالتالي الاستفادة منها، وكلنا نعرف أن الوقت هو حياة الإنسان، فإن ضاع الوقت ضاعت الحياة. هذا بالإضافة إلى الكثير من الأوقات التي نضيعها في اللعب بالهاتف الذكي ووسائل التواصل الاجتماعي، وربما هنا يأتي السؤال، إن كنت وضعت خطة لتعيش بصورة أفضل في العام القادم أليس من الأجدى أن تستفيد من كل دقيقة من وقتك لتنفيذ هذا المخطط؟

٤. الراحة القصيرة؛ ولكن بين الفينة والأخرى خذ استراحة قصيرة، أعط نفسك فترة راحة بعد كل جهد مضني، حتى تحصل على صفاء الذهن، يمكنك أن تقوم ببعض التدريبات الرياضية وخاصة في الحدائق المفتوحة، أو أن تلتقي ببعض الأصدقاء، أو أن تذهب في رحلة مع الأهل، من أجل الاسترخاء والبحث عن الهدوء، فصفاء النفس والذهن يساعدان بصورة كبيرة على تحقيق الذات وتحقيق الأهداف. ولكن لا يفضل أن تأخذ استراحة طويلة، فإن ذلك يمكن أن يؤدي إلى الكسل والخمول.

٥. كافئ نفسك؛ بماذا؟ فالعمل الجاد لا يعني أبدًا حرق الذات أو حرمانها من متاع الدنيا، فبعض الأنشطة تجدد النشاط وتدفع الإنسان إلى مزيد من العطاء، فالإجازة القصيرة، ورحلة ممتعة، وممارسة هواية بين الفترة والأخرى تسهم بصورة كبيرة في تحقيق الذات وتنفيذ المخطط السنوي، وبالإضافة إلى ذلك فإنه لا ينبغي للمرء أن ينسى أهله وأطفاله ومن يعيشون حوله، فإنهم أيضًا يستحقون التفكير فيهم وفي تحقيق رغباتهم.

٦. الحصول على الطعام الجيد الصحي؛ أثناء عملك في تنفيذ المخطط الشخصي، من المهم أن تتناول طعاما جيدا، ويفضل أن يكون صحيا، فلا تكثر من السكريات ومشروبات الطاقة، من أجل تجديد النشاط، فهذه المواد غير صحية إذ ربما تعطيك الطاقة المؤقتة ولكنها على مدى الطويل فإنها ستسبب لك الكثير من الأضرار في المستقبل. ومن الجدير بالذكر إنه أثناء تناول الطعام يفضل ألا تعمل، وبالعكس.

٧. التخفيف من الضغوط؛ من منا لا يتعرض للضغوط، لا أحد، ولكن على المرء أن يتعلم كيف يحول المواقف والضغوط إلى صالحه، فتتحول إلى فرصة لتطوير النفس إن تعاملنا معها بعقلية إيجابية، فبدلًا من تجنب الضغوط، يمكن استخدامها كوقود للتحفيز على التقدم والنمو، من خلال التفكير الإيجابي، واكتساب مهارات جديدة، وزيادة التحفيز والإنجاز، وربما طلب الدعم والتواصل مع الآخرين.

٨. فن الاتصال والتواصل؛ ربما من أكثر الأمور التي تضيع وقتنا المجاملات الاجتماعية، المكالمات الهاتفية غير الهادفة والمضيعة للوقت والجهد، وكذلك الزيارات المفاجئة، وتنفيذ الأعمال الطارئة والتي هي في الحقيقة غير طارئة، وما إلى ذلك، ولكن كيف نتخلص منها في مجتمع يقدس المجاملات الاجتماعية؟ سؤال صعب الإجابة عنه إلا بكلمة واحدة، وهي (لا)، ولكن يجب أن تقال بطريقة ذكية جدًا حتى لا نفقد الناس الذين يعيشون معنا وحولنا.

٩. التوظيف الجيد للتقنيات الحديثة؛ يتميز عصرنا باستخدام التقنيات الحديثة، مثل الحاسوب والإنترنت والذكاء الاصطناعي والهاتف الذكي والعديد من تلك الأدوات التي يمكن استخدامها في تقليل وقت الانتظار أو أخذ المواعيد وما شابه، لذلك فيمكن الاستفادة من هذه التقنيات وخاصة في الأمور الروتينية التي تضيع الكثير من الأوقات، فبدلًا من الرد على كل رسالة في الواتساب، يمكن استخدام المسجل الصوتي أو المكتوب عوضًا عن الرد على كل رسالة أو مكالمة، وخاصة من تلك النوعيات من الرسائل التي تزخر بها وسائل التواصل طوال اليوم.

١٠. تطوير الذات؛ في خضم كل ذلك لا تنس نفسك، ورغباتك الأخرى، فاجعل أيامَك الأخرى مفيدة وعامرة بالعمل الصالح واستمع أو شاهد برامج وأفلاما ثقافية وعلمية، قم بزيارة لصديق حكيم أو عالم مفكر، مارس التدريب على الحاسوب والإنترنت، ربما يفضل أن تتعلم لغة جديدة، شارك في عمل خيري أو تطوعي، استمع إلى شريط مفيد أو فيديو أثناء قيادة السيارة، فإنك وضعت لنفسك خططا وأهدافا لذلك فإنه من الضروري أن تستفيد من كل وقتك في تطوير ذاتك ونفسك وعقلك.

وإن كنا نقول إن هذه الطرق لا تعد العصا السحرية التي تحقق وتنفذ الخطط والأهداف، لأن الإنسان هو أساس ذلك، ولكن في الحقيقة هذه الطرق العشرة، تسهم بطريقة أو بأخرى وتساعد الإنسان أو المؤسسة الراغبة في وضع الخطط من أجل تحقيقها. فإن كان الإنسان نفسه لا يرغب في تحقيق ذلك المخطط فلا توجد أي قوة في الأرض تساعده في تحقيق ذلك المخطط.

ونقول ذلك من خلال العديد من التجارب والشواهد التي مارسناها مع العديد من الأفراد الذين قدمنا لهم خبرتنا وتجربتنا في وضع المخططات الشخصية والمؤسسية بالإضافة إلى تنفيذها.

وقبل أن أختم مقالي إليكم هذه القصة البسيطة؛ تقول الحكاية إنه كان هناك شاب يعيش في قرية صغيرة، هذا الشاب أرشده طموحه إلى فكرة أن يمتلك منزلاً، فقرر أن يبني بيتًا جميلًا على تلة تطل على القرية. أراد أن يكون بيته هو الأجمل في المنطقة ليصبح مصدر فخر له ولعائلته. وفي يوم من الأيام، استيقظ هذا الشاب المليء بالحماس، واشترى مواد البناء وبدأ العمل فورًا دون وضع أي مخطط للمنزل الذي يريد بناءه، وهو أصلاً لا يعرف كيف يبني ولا يعرف أن يضع مخططا لمنزل، ولكنه اعتقد أن حماسه سيرشده، فما كان منه إلا أن يضع الطوب بشكل عشوائي ويعمل ساعات طويلة دون تحديد واضح لما يريده. في البداية بدأ العمل يسير بشكل جيد، ولكن مع مرور الوقت، بدأ يواجه مشكلات كبيرة؛ منها أن الأساسات كانت ضعيفة لأن الشاب لم يخطط لها جيدًا، والحجارة التي اشتراها لم تكن كافية لأنه لم يحسب الكمية المطلوبة، والسقف كان مائلًا وغير ثابت لأنه لم يضع تصورًا هندسيًا لأنه أصلاً لا يعرف الهندسة. وفي النهاية، وبعد أشهر من العمل الشاق، انهار البيت بسبب سوء التخطيط، مما جعله يشعر بالإحباط والندم على الوقت والجهد الضائع.

هذا هو التخطيط ووضع المخطط وبعض أساليب ومعززات التنفيذ. وكل عام وأنتم بخير.

Zkhunji@hotmail.com

مخاطر الخطط الجديدة للاستيطان القومي والديني الإسرائيلي

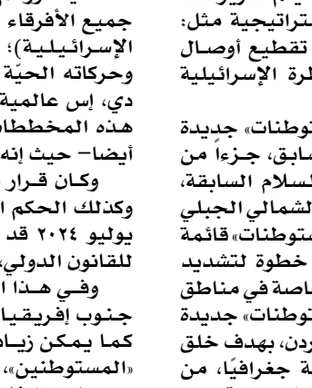

بقلم:
د. أسعد عبدالرحمن

تتزامن عودة دونالد ترامب إلى البيت الأبيض مع تجدد الدعوات الإسرائيلية إلى زيادة «الاستيطان» وصولا إلى ضم الضفة الغربية وتثبيت الاحتلال في قطاع غزة (وربما «الاستيطان» فيه). وهذه سياسات «شجعتها» إدارة الرئيس الأمريكي الحالي جو بايدن حين اعترضت عليها «شفويا» وفشلت في وقفها.

ومعلوم أن «إسرائيل»، في ظل هذا الزخم القومي والديني اليهودي المتطرف، تستمر في انتهاك القوانين الدولية وقرارات الأمم المتحدة، متجاهلة دعوات المجتمع الدولي لوقف الإجراءات «الاستيطانية» التي تقوض فرص السلام. ورغم الرفض العالمي، ومعه الرفض الفلسطيني القاطع، تواصل سلطات الاحتلال «ودولة المستوطنين» مخططاتها لضم المزيد من الأراضي عبر تنامي عمليات مصادرة الأراضي وبناء المستعمرات/ «المستوطنات».

وفي ذات الوقت، تشهد «الضفة» تصعيداً كبيراً في أعمال العنف التي يرتكبها المستعمرون ضد الفلسطينيين، مثل: الاعتداءات على الممتلكات، حرق المنازل، الهجمات على السيارات، وتدنيس المساجد، والدهس.. إلخ، وهي أمثلة على الانتهاكات اليومية الصارخة التي تستهدف الفلسطينيين. وهذه الانتهاكات والمقارفات وغيرها يرافقها تغاض واضح من الحكومة الإسرائيلية ومنظومتها العسكرية والأمنية وصل إلى درجة التواطؤ الفاضح بين الحكومة و«المستوطنين»، خاصة في المناطق التي يسيطر عليها اليمين «المهووس» دينيا!

أما الخطط «الاستيطانية» التي يروج لها اليمين القومي والديني فتتسم بوضوح شديد في أهدافها، وخططها الاستعمارية؛ حيث يتم تعزيز هذا «الاستيطان» على طول الطرق الاستراتيجية مثل: «طريق ألون» و«الشارع ٦٠»، بهدف تقطيع أوصال الأراضي الفلسطينية وتعزيز السيطرة الإسرائيلية عليها.

وبالتوازي مع ذلك، يتم بناء «مستوطنات» جديدة في المناطق التي كانت تعد، في السابق، جزءاً من خطط الإخلاء بموجب مقترحات السلام السابقة، مثل: «مستوطنات» غور الأردن والقسم الشمالي الجبلي من الضفة الغربية. كما يتم توسيع «مستوطنات» قائمة مثل: «أريئيل»، و«عيلي»، و«شيلو»، في خطوة لتشديد السيطرة على الأراضي الفلسطينية، خاصة في مناطق شمال رام الله وغور الأردن، وإنشاء «مستوطنات» جديدة في مناطق مثل: جبل الخليل وغور الأردن، بهدف خلق تواصل «استيطاني» في مناطق مهمة جغرافيًا، من شأنه عزل الفلسطينيين عن مراكزهم الحضرية.

كما يتم تعزيز «الاستيطان» في القدس وقطع الاتصال بين القدس الشرقية والمدن الفلسطينية مثل رام الله وبيت لحم، وهو ما يعني تهديداً مباشراً لقدرة الفلسطينيين على إقامة دولة ذات سيادة.

وبالإضافة إلى ذلك، يتم تخصيص مبالغ ضخمة من ميزانية الحكومة الإسرائيلية لتسريع تطوير هذه المشاريع «الاستيطانية»، بما في ذلك بناء الطرق والبنى التحتية الضرورية لدعم هذه المستعمرات.

تستمر الحكومة الإسرائيلية، تحت قيادة سموتريتش وبن غفير، في دفع عجلة خططها التوسعية عبر تعزيز «المستوطنات غير القانونية» (وجميع «المستوطنات» هي – بالطبع – غير قانونية!).

وفي الوقت ذاته، يجري تشريع هذه «المستوطنات» وتحويلها إلى «مستوطنات رسمية!» عبر الدعم الحكومي المالي والتشريعي والعسكري/ الأمني. هذا التعاون الوثيق بين الوزارات الحكومية والمجالس المحلية اليهودية في «الضفة» يضمن استمرار تنفيذ هذه السياسات، في ظل عدم وجود أي معارضة «يسارية» او «ليبرالية» جادة من داخل «إسرائيل». وتظهر أرقام دائرة الإحصاء المركزية الإسرائيلية التي تتعلق بالسكان في الضفة الغربية حتى أغسطس ٢٠٢٤، أن اليمين القومي والديني يواجه صعوبة في تحقيق أهدافه «الاستيطانية»/ الاستعمارية بسبب التحديات الديموغرافية، حيث يتباطأ معدل زيادة عدد «المستوطنين» في المناطق الفلسطينية.

«ومع ذلك، تواجه هذه الطموحات المسيانية واقعاً ديموغرافياً مغايراً. إذ تكشف بيانات دائرة الإحصاء المركزية الإسرائيلية المتعلقة بسكان الضفة الغربية، حتى نهاية أغسطس ٢٠٢٤، الإخفاق الكبير لليمين المسياني. فعلى الرغم من الجهود المبذولة لزيادة أعداد المستوطنين في الضفة، فإن الارتفاع في أعدادهم يتباطأ، والواقع لا يتماشى مع الرؤية المرسومة...»

«الاستيطان» في الضفة ليس قدراً محتوماً، بل يمكن التصدي له بوسائل مختلفة رغم سياسات التصعيد، ورغم الدفع الإسرائيلي المحموم له (من جميع الأفرقاء بمن فيهم قوى المعارضة الكلاسيكية الإسرائيلية)؛ فمقاومة الشعب الفلسطيني وقواه وحركاته الحيّة (ومن أبرزها حركة المقاطعة – بي، دي، إس عالمية الامتداد) تبقى الأساس في مواجهة هذه المخططات، دون غمط دور القانون الدولي – أيضا– حيث إنه يوفر أدوات قوية لعرقلة «الاستيطان».

وكان قرار مجلس الأمن رقم ٢٣٣٤ لعام ٢٠١٦ وكذلك الحكم الصادر عن محكمة العدل الدولية في يوليو ٢٠٢٤ قد أكدا أن «المستوطنات» انتهاك صارخ للقانون الدولي، وطالبا بإنهاء الاحتلال.

وفي هذا السياق، لابد من استلهام تجربة جنوب إفريقيا بمقاطعة نظام الفصل العنصري، كما يمكن زيادة أعمال فرض عقوبات دولية على «المستوطنين»، وكانت تباشير هذه العقوبات قد جاءت من جانب الولايات المتحدة وبعض دول العالم الغربي (المتحالف تاريخياً مع الدولة الصهيونية).

غير أن مصير هذه الأخيرة يعتمد كلياً على ما ترسو عليه مراكب الإدارة الجديدة. وفي جميع الأحوال والظروف، لابد دائما من استنهاض مختلف أنواع المقاومات الداخلية والخارجية لحركة «الاستيطان»، فتاريخيا: لا الظلم يدوم ولا سرقة أراضي الغير!